تحاورا تلفزيونياً حول ميشال شيحا

حلو: الغاء الطائفية السياسية الغاء للبنان

تويني: الحوار المسيحي - الاسلامي الفعلي هو لبنان

من اليسار الرئيس حلو، غسان تويني، جيزيل خوري خلال الندوة.

حلو: اخوة... ولا تتصامر.

تويني: تنظم الاحزاب البرلمانية.

ميشال شيحا.

(يوسف اللبس)

كتب باسم الحاج:

بين الرئيس شارل حلو وغسان تويني، كان حوار تلفزيوني، مساء امس، عبر "المؤسسة اللبنانية للارسال"، عن ميشال شيحا في مناسبة مرور اربعين عاما على وفاته، باستضافة من الزميلة جيزيل خوري.

الاول عرف شيحا ملهما يدين له "بكل شيء"، ما غدا الحياة". تعرف اليه في اوائل آب ١٩٣٤، وبقي في نظره "مرادفا للبنان" حتى وفاته في ٢٩ كانون الاول ١٩٥٤.

والثاني، تويني، التقاه ثلاث مرات او اربعا، محاضرا ومستمعا وفي مناسبات، وعرفه خصوصا عبر القراءات والافكار، وعبر رسالة شكر وجهها شيحا اليه، عندما ترجمت له "النهار" مقالا نشره في "الوجور" بالفرنسية، يعارض فيه التجديد للرئيس بشارة الخوري، قريبه وصديقه ورئيس حزبه. ونشرت "النهار" - المعارضة يومها - المقال تحت عنوان "وشهد شاهد من أهله"، لكن شيحا لم يعترض على ذلك.

وحوار حلو وتويني كان عن افكار "أب الدستور"، وعن مبادىء ميشال شيحا التي لا تشيخ ولا تموت. مبادىء لا تزال تصلح لتكون مصدر وحي في "الجمهورية الثالثة" (على حد تعبير تويني)، الذي توقع "جمهورية رابعة" نحن على ابوابها)، هو الذي كتب، مع رفاقه، دستور الجمهورية الاولى عام ١٩٢٦.

حلو هو رئيس "مؤسسة ميشال شيحا" وتويني احد اعضائها. والاثنان تناقشا في افكار الراحل، ومي، في ذاتها، مؤسسة، وحاول تويني ان يظهر تطابقها مع الواقع الحالي.

على افكار ميشال شيحا في الطائفية والبرلمانية والديموقراطية، تركز الحوار الجذاب، الخالي من التعقيد، على غناه بالمضمون الفكري. وكان تباين في وجهات النظر، محبب، ومرطب بالذكريات وطرافة الحديث ولباقة الكلام.

الطائفية في فكر ميشال شيحا

كانت محور الحديث. تويني بدأ النقاش متذكرا تجربة الاحزاب السياسية المختلطة في عهد الاستقلال، مشيرا الى ان "الكتلة الدستورية"، التي كانت برئاسة مسيحي هو الرئيس بشارة الخوري، كانت تضم مسلمين، كذلك "الكتلة الوطنية"، التي كانت برئاسة مسيحي آخر هو الرئيس اميل اده. وقال تويني ان الاحزاب في لبنان كانت، على مدى ٣٠٠ عام، غير طائفية في اشارة الى القيسية واليمنية.

حلو اعتبر ان "الغاء الطائفية الغاء للبنان. فلبنان مؤلف من ١٧ طائفة. والان نسمع انها صارت ١٨ ولا نعرف من اين جاؤوا بالطائفة الجديدة. وهذه الطوائف يجب بعضها بعضا وتريد ان تتعاون وتتوحد، لكن ثمة حاجزا بينها من ذلك. فكل طائفة لها نظامها وقوانينها المتعلقة بالزواج والارث والاحوال الشخصية. يمكن ان تكون اخوة ولكن لا يمكن ان تتصاهر."

وشرح حلو ان شيحا كان يعلق اهمية كبيرة على دور مجلس النواب، وكان يعتبره "المركز الاساسي الذي تتعاون فيه الطوائف اللبنانية وتتفاهم".

المجلس بديلا من الشارع

تويني لم ير في فكر شيحا اي ارتكاز الى الطائفية "بل هو بنى نظامه على الوطنية". وقال "ان المجتمع اللبناني يفترض ان يكون موحدا، لكنه مؤلف من طوائف".

وعرض تويني النظريتين المعروفتين في الفكر السياسي، في مسألة العقد الاجتماعي: الاولى تقول ان التعاقد هو بين الافراد، في ما بينهم، وبينهم وبين الدولة. والاخرى تعتبر ان التعاقد هو بين مجموعات "لكن المهم الا نبدي ولاءنا للمتحد الاجتماعي الاصغر على ولائنا للوطن". وشدد على دور مجلس النواب في صهر المجموعات اللبنانية مستشهدا بما قاله شيحا عن انه "مجلس تلتقي فيه الطوائف ولو لتتقاتل بدل ان تتقاتل خارج المجلس، في الشارع، في ظل الكنيسة والجامع".

ورأى تويني ان "المجالس النيابية يجب ان تكون تمثيلية فعلا، فالمجالس التي سبقت خلافات هي التي لم تكن ممثلة". وقال مستفربا: "منذ الطائف زادت الطائفية السياسية على رغم كل الكلام الواعي الى الغائها". واعتبر انه "لا يمكن الغاء الطوائف لانها مكونات المجتمع اللبناني، ولكن يجب قيام حكم علماني. ميشال شيحا كان يرى ان الحكم التمثيلي يعبّر عنه في مجلس النواب. اما الحكم كادارة، فالاعتبار الاول فيه المواهب والكفايات".

ثم شرح حلو سبب معارضته الغاء الطائفية السياسية: "في مجلس النواب اكثرية واقلية. واذا كانت الاكثرية والاقلية على اساس طائفي، لا يمكن ايا كان ان ينتقل من الواحدة الى الاخرى الا اذا تنكر لديانته. وهذا معناه ان الاكثرية ثابتة، وان الاقلية ليست لها كلمة، ولا يمكن ان تعبّر عن رأيها بحرية. انا لا اميز بين مسلم ومسيحي، وليس كلامي تعصبا. لكن المسلم لا يمكن ان يصير مسيحيا ولا العكس. نحن نتمنى الغاء الطائفية السياسية والوصول الى العلمانية، ولكن ذلك مستحيل، لان المسلمين لا يقبلون به. العلمانية ليست واردة الآن. ربما بعد مدة".

من أجل احزاب برلمانية

تويني ميّز ما بين الغاء الطائفية وفصل الدين عن الدولة. "ففصل الدين عن الدولة ممكن في دولة فيها دين واحد هو المسيحية. وحتى داخل الدين الواحد ثمة خلاف حول الموقف من الدولة. في الإسلام خلاف بين دعاة الدولة الاسلامية ودعاة الدولة المنسجمة مع الاسلام".

"القاعدة الفكرية المشتركة بين المسيحيين والمسلمين" هي الحاجة في رأيه، وقال انه يرى "في كل مسيحي مشرقي شيئاً من الاسلام، وفي كل مسلم مشرقي شيئاً من المسيحية. والحوار المسيحي - الاسلامي الفعلي ليس الاجتماعات التي تحصل في الفاتيكان او في مصر ويشارك فيها رجال دين وبعض الاكاديميين. الحوار الاسلامي - المسيحي الحقيقي هو الحياة اليومية المشتركة. هو لبنان. فالمسألة هي كيفية انشاء مجتمع واحد فيه مسيحيون ومسلمون، يحكمه نظام واحد".

ودعا تويني الى قيام "احزاب برلمانية تضم اعضاء من طوائف مختلفة، وتتمثل في المجلس بنواب من طوائف مختلفة" وتساءل سائلاً: "إذا الغيت الطائفية السياسية، ماذا يفعل مسؤولو الاحزاب الطائفية؟ وين يروحوا وشو بيعملوا؟".

وذكّر بتشكيل "الجبهة الاشتراكية الوطنية" التي قامت بالثورة البيضاء واطاحت بشارة الخوري بالطرق الديموقراطية. وذكّر بانها ضمّت كميل شمعون وكمال جنبلاط وريمون اده وبيار اده وغسان تويني وعبدالله الحاج وانور الخطيب، وتحالفت مع قوى اخرى شمالاً وجنوباً، "كان حلفاً مختلطاً ولم يكن على اساس طائفي ولا على اساس انتخابي".

جميع الحريات

ثم انتقل الحوار الى فكر ميشال شيحا في موضوع الديموقراطية والحريات. فقال حلو: "لم يكن فقط يؤيد الحرية. كان يطالب بجميع الحريات. كان يعتبرها ضرورية. وكان يعتبر ان الاقتصاد لا يمكن الا ان يكون حرا".

وهل كان امتلاكه لمصرف سببا في دفاعه الى هذا الحد عن الاقتصاد الحر؟ "ديموقراطية ميشال شيحا شرط لبقاء لبنان - اجاب تويني - الحرية حالة. هي التعامل مع الفريق الاخر باحترام كلي لدينه وطائفته ولخياراته السياسية والاجتماعية والحرية تنعكس على الاقتصاد. كان ماركس يقول ان الانسان هو رأس المال الاول. واذا عاش الانسان في حالة حرية، ينعكس ذلك على جوانب حياته كافة".

عروبة شيحا

وبعد المحطة الاقتصادية القصيرة، انتقل المتحاوران الى موضوع التزام ميشال شيحا للعروبة. فقال تويني: "اعتقد ان ميشال شيحا لم يكن يميز بين عرب وعرب. لم يكتب خطابا عاطفيا حول العروبة لكنه لم يكن انتساب لبنان الى المجموعة العربية التي لا تزال غير واضحة المعالم. كان يعتبر ان لبنان "عرب خاص".

العنف

وتحدث تويني عن نظرة شيحا الى طبيعة المجتمع اللبناني، "فيرى الاقلية لا الاغلبيات"، واعتبر ان الاحداث اثبتت صحة هذه النظرية. "فكل الصراعات يجب ان تحل ضمن العقد الاجتماعي والوفاق البرلماني. العنف لم يوجد حلا لمشكلة. شعبنا يقوم بثورات ويندم عليها. العنف في تاريخ لبنان لم يحسم اي قضية. ويا ليت ميشال شيحا يعود ويرى كيف ان ١٧ عاما من الحروب اعادتنا الى الوراء! العنف لا يمكن ان يحسم الا عندما يكون المجتمع متجانسا. اما لبنان فهو مجموعة متحدات اجتماعية متعددة الى درجة ان اي محاولة للحيمنة فيه لا تقدر ان تلزم سائر المجتمعات. ونظرية ميشال شيحا في ان كل خلاف يجب ان يحل بطريقة ديموقراطية.

وعلق الرئيس حلو قائلا: "كل ثورة تسبب ثورة مضادة".

واستطرد تويني: "المجتمعات المركبة تستجلب زبانية وتستسقي التدخل الخارجي الذي يستغله الطامعون بالبلد. وثمة من يطمع بلبنان. وكل بلد محاط بطامعين".

وبعد محطة مع ميشال شيحا الشاعر تحدث خلالها حلو عن قصائد ديوان "بيت الدقول"، اهدى الرئيس السابق اعجابه بثلاثة شعراء لبنانيين باللغة الفرنسية هم: ناديا تويني، جورج شحاده وميشال شيحا.

ختاما - لخص غسان تويني شخصية ميشال شيحا قائلا انه "من جيل العمالقة" و"سيبقى منه المثل والافكار: ان الديموقراطية وليتان صنوان. لا لبنان من دون ديموقراطية ولا ديموقراطية من دون النموذج اللبناني، الذي كانت دول اخرى مركبة تتحدى به".